http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1455) السنة السادسة - السبت (14) آذار 2009

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أزمة التيار الديني في التركيز على القشور وإهمال اللُبَاب

شاكر النابلسي

في الربع الأخير من القرن العشرين، ومطلع القرن الحادي والعشرين، انشغل التيار الديني عموماً، في العالم العربي بقضايا ليست أساسية جداً، في حياة الفرد العربي. وانهمك هذا التيار بقضايا لا تستحق منه كل هذا الجهد وهذا الانهماك، وترك القضايا الأساسية كقضايا الحرية والديمقراطية وحقوق المرأة والفساد المالي والإداري جانباً.

فكان موضوع الحجاب على سبيل المثال لا الحصر من القضايا الرئيسة عند هذا التيار. فتحدث في هذا الموضوع مئات الدعاة الدينيين المُسيسين. وألفت في موضوع الحجاب عشرات الكتب، خاصة عندما أثيرت مسألة الحجاب في فرنسا في عهد الرئيس السابق شيراك، عام ٢٠٠٦.

كُتبُ الحِجاب أكثر من كُتبِ الديمقراطية

فالعرب والمسلمون خلال ١٤ قرناً مضت، لم يهتموا كثيراً بأمر الحجاب. ولم ينهمك رجال الدين وفقهاؤه كما انهمكوا في تلك الفترة بموضوع الحجاب، حتى أن منهم من ألّف كتباً كاملة حول موضوع الحجاب، كما فعل الباحث المصري جمال البنّا، الذي انهمك في موضوع الحجاب، وانتهى فيه إلى أن الحجاب فُرض على الإسلام ولم يفرض الإسلام الحجاب. وأصبح سوق الحجاب هو الرائج كملابس ، وأغطية رأس، وأزياء، وأحاديث تلفزيونية، ومقالات، وكتباً. فكتب الشيخ السعودي ابن العثيمين كتاباً آخر نقض فيه ما قاله البنّا، وأكد فيه أن الحجاب من صُلب العقيدة الإسلامية. وأثنى عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بكتاب آخر عن الحجاب. وتبعه الشيخ خالد العنبري بكتاب آخر عن الحجاب، وأثنى عليه بكر أبو زيد بكتاب (حراسة الفضيلة) وظهرت عشرات الكتب عن الحجاب، كما لم تظهر في أي عصر من عصور النور أو الظلام. وفكّرت أنا أن أكتب كتاباً عن الحجاب بعنوان (غرام الأحباب في ارتداء الحجاب). ولكني اكتشفت أن العشرات من «الفقهاء» كتبوا كتباً قيمة فيه، وسوف لن يكون لكتابي قيمة تُذكر. وبلغ الهذيان في موضع الحجاب كآخر قلعة باقية من قلاع العفّة العربية المتهاوية، أن اعتبرت خيرية الحارثي الباحثة السعودية، أن تدريس كتاب (الحجاب) لابن عثيمين في المدارس السعودية من أساس إصلاح نظام التعليم السعودي لأهمية وعظمة الحجاب، وأنه من الأمور الدينية التي لا يمكن التنازل عنها، مع بيان تاريخ الحجاب في الدول الإسلامية، وكيف كان، وكيف أصبح بفعل «المؤامرة على المرأة المسلمة» كجزء من مشروع استعماري شامل، لتغيير وجه الحياة في البلدان العربية، واقتلاع المجتمع الإسلامي من جذوره.

نواقض الوضوء أكثر أهمية من حدود الحاكم

كان بعض الباحثين من التيار الإسلامي يعتقد، أن شعار فصل الدين عن الدولة شعار أوروبي وبضاعة محلية للغرب، ولا سوق لها في بلادنا ولا حاجة لنا فيها. وأن المطالبة من قبل العَلْمانيين الليبراليين والماركسيين والقوميين بفصل الدين عن الدولة إنما كانت لأسباب كثيرة منها «جمود العلماء على النصوص الجوفاء والاهتمام بنواقض الوضوء أكثر من اهتمامهم بحدود الحاكم، وسيره على الجادة، وانصياعه لأوامر الله. كما كان اهتمامهم بنقائض الوضوء أكثر بكثير من اهتمامهم بمشكل المسلمين الاقتصادية ونظام المال، وأكثر بكثير من اهتمامهم بتربية النشء وفتح آفاق الفكر الإنساني والعلمي أمام الفكر الإسلامي كي يمضي في تفوقه واجتهاده».

الإسلام والتقدم

ويرى بعض المفكرين الإسلاميين الليبراليين كاللبناني رضوان السيّد أن المسلمين في اليوم، لا يرون أن هناك ديناً ودنيا، بل هناك دنيا أو عالم، يملك الإسلام تصوراً لطريقة العيش فيه، أو الحياة بين جنباته. وأن الإسلام عندما يتحول إلى دولة فإنه يُحكم، لكونه دين دعوة يطمح بتصوره أو نهجه هذا، أن يشمل العالم. ويقول هؤلاء أن عدم قيام دولة دينية في العصر الحديث لا يعني أن الإسلام يقف في وجه التقدم. وأن «غالبية المسلمين لا تزال تعيش شرعتها وأعرافها النابعة منها، وتخطئ مجموعات منها أو تصيب، لكنها لم تفكر يوماً أن سحب الإسلام من دنياها يجعلها تتقدم».(«الإسلام المعاصر»، ص ٢١٩).

أسباب تاريخية لقيم الدولة الإسلامية

ويرى المصلح والمفكر الديني/ السياسي المصري خالد محمد خالد – الذي نادى بفصل الدين عن الدولة في عام ١٩٥٠ واعتبرت هذه المناداة بمثابة حافز للمفكرين الإسلاميين للبحث عن ضرورة تقديم صيغ فعّالة لحل المشكلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإسلام الحديث. ثم تراجع عن أفكاره فيما اعتبره مراجعة في عام ١٩٨١ من خلال كتابه «الدولة في الإسلام»، أن دواعي ومبررات قيام الدولة الإسلامية تتلخص في أسباب تاريخية منها:

١-أن العرب قد عرفوا الدولة والحكومات قبل الإسلام، وعندما جاء الإسلام أمكنهم من ممارسة هذه التجربة بنجاح.

٢-كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدرك أن بناء الدولة الإسلامية واستمرارها جزء من مهمته كونه نبياً رسولاً.

٣-أجمع معظم قادة الفرق الدينية على وجوب تنصيب «الإمام» أي قيام الدولة التي ترعى شؤون الإسلام والمسلمين.

٤-إن الإسلام كدين ودنيا لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة، بل هو يدفع المسلمين إلى دائرة الاهتمام بالسياسة عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام: « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

لا جديد تحت الشمس

هذه الحقائق التاريخية التي ساقها خالد محمد خالد، كمبرر لوصل الدين بالدولة، كانت موجودة منذ مئات السنين، وقبل عام ١٩٨١ الذي صدر فيه كتابه «الدولة في الإسلام»، ولم يطرأ عليها أي تغيير. ولكن التيار الفكري العربي – كما يقول المفكر المصري محمد عمارة – بدأ خلال فترة الربع الأخير من القرن العشرين ، يتلمس طريقه من خلال النظام الإسلامي، ومن خلال تيار بدأ يُرسّخ الأفكار التي كانت تُردد أن «الإسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. ولم يعتزل أمور الدولة والسياسة، ولكنه في الوقت نفسه لم يضع لدولة المسلمين النظم والقوانين والنظريات وإنما اتخذ لنفسه موقفاً وسطاً من كل هذا. فترك الدين للعقل والتجربة وضع النظم والقوانين. وقام الدين بوضع الفلسفة والمثل» («العلمانية ونهضتنا الحديثة»، ص٢٦).

تسييس النصوص المقدسة

يلجأ بعض المفكرين من التيار الإسلامي الجديد للاستخلاف في الأرض مع النظرية العالمية الثالثة التي جاء بها القذافي. (انظر: سليم اسكندراني، في عرضه لكتاب الكردي «مأساة الخلافة»، مجلة «الفكر العربي»، ع٣٥/٣٦، ص٢٦٧).

ففي ليبيا، حيث يتم الحكم بالمجالس الشعبية والجماهيرية، يقوم الباحثون الإسلاميون باستنباط جذور لهذه الآليات السياسية من التاريخ السياسي الإسلامي قسرياً. فيقوم هؤلاء بنقض نظرية الخلافة الإسلامية المتمثلة في الحاكم وبالتركيز على أن الآيات التي قالت بالاستخلاف في الأرض إنما كانت تعني استخلاف الناس والجماهير وليس الحاكم. وأن استنباط الشكل الجماهيري للسلطة من متن الشريعة الإسلامية سهل، غير عسير وغير غامض. ويقولون إن الاستخلاف مستمد من الخلافة العامة للإنسان على الأرض، وليس من استخلاف الخاصة. وهذا يطابق ما قاله القذافي في «الكتاب الأخضر» من ضرورة الاستخلاف المباشر للجماهير على السلطة، وليس استخلاف ممثليهم. وهذا ما هو قائم في النظام السياسي السويسري الحالي.

التيارات الإسلامية المختلفة

ومن خلال هذا العرض لآراء التيار الإسلامي في العالم العربي لعلاقة الدين بالدولة، نستطيع أن نتبين أن في العالم العربي والإسلامي عدة تيارات مختلفة، تقول بعلاقة الدين بالدولة، ومن هذه التيارات:

١ – التيار السلفي المتشدد، وهو الذي ينادي بنبذ كل مظاهر الدولة الحديثة من دستور موضوع وانتخابات تشريعية ومجالس للشعب وغير ذلك من الآليات، واعتماد مظاهر وآليات دولة النبي والخلفاء الراشدين في المدينة. ومن دعاة هذا التيار أسلاف الشيخ محمد عبد الوهاب في السعودية وقطر. والجناح اليمني المتشدد في حركة الإخوان المسلمين (سيّد قطب) ومعظم الجماعات الإسلامية المصرية والجزائرية المتشددة. ويقول المفكر المصري فؤاد زكريا إن دعوة «الإسلام دين ودولة» التي تدافع عنها هذه الجماعات، والتي هي أساس خصومتها مع أنظمة الحكم القائمة تتناقض تناقضاً صارخاً مع ممارسات هذه الجماعات الإسلامية نفسها. فهذه الممارسات عندما بلغت ذروتها وتحققت على أكمل نحو، لم تتجاوز نطاق اغتيال الحاكم (أنور السادات) لأسباب شعائرية شكلية. («مستقبل الأصولية الإسلامية»، مجلة فكر، عدد٤، القاهرة، ١٩٨٥).

١-التيار السلفي المنفتح، وهو الذي ينادي بربط الدين بالدولة، ولكنه في الوقت نفسه على استعداد للقبول بآليات الدولة الحديثة كالدستور، شريطة أن يتماشى وأحكام الشريعة الإسلامية، كما يقبل بالانتخابات التشريعية كآلية حديثة بدلاً من البيعة. ويقبل بمجالس الشعب والبرلمانات الحديثة بدلاً من مجالس الشورى المعينة. ومن دعاة هذا التيار جماعة الإخوان المسلمين، والجماعات الإسلامية في تونس والأردن.

٢-التيار الشيعي، وهو الذي ينادي بوصل الدين والدولة على الطريقة الخمينية في إيران. وهم الذين ينادون بولاية الفقيه من غير قريش ومن غير آل البيت. ويضعون دستوراً إسلامياً من خلال الشريعة ويجرون الانتخابات التشريعية، ولكنهم لا يسمحون بقيام معارضة أو أحزاب معارضة. ومن دعاة هذا التيار في لبنان «حزب الله» و«حركة أمل».

٣-الاتجاه الديني القومي، وهو الذي ينادي بتطبيق الشريعة الإسلامية وبالتأكيد على أن دين الدولة الإسلام، ولكنه لا يسعى للوحدة الإسلامية بقدر سعيه للوحدة العربية أو الوحدة الإفريقية. ويتخذ الدين سلاحاً ضد الجماعات الإسلامية، ولكبح شهوتها الجامحة للوصول إلى الحكم، ومثاله نظام الحكم في الأردن وليبيا وسوريا ومصر.

إحراج منطقي حاد

ولعلنا نكتشف هنا أن المفكرين الإسلاميين مواجهون بإحراج منطقي حاد. وهذا الإحراج تمثل في الاتي:

١-فهم إما أن يقوموا بالدعوة لإقامة الدولة الإسلامية على أساس مبادئ خلقية عامة مستقلة عن الظروف الثقافية للبشر. وفي هذه الحالة لا تعتبر الدولة إسلامية لأن المبادئ الخلقية العامة ليست من خصوصيات الإسلام.

٢-وهم إما أن يقوموا بالدعوة لإقامة هذه الدولة على أساس مستمد من الإسلام الثقافي. وفي هذه الحالة يصعب قيام هذه الدولة، لأن مبادئ الإسلام الثقافي من خصوصيات الإسلام الكوني (للناس كافة). وقيام دولة كونية في الوقت الحاضر على أساس من مبادئ الإسلام الكونية يكاد يكون مستحيلاً. وذلك هو المأزق.

مطلوب قضايا أكثر جدية

لقد شغلَ جدلُ علاقة الدين بالدولة حيزاً كبيراً من مساحة الفكر العربي . ولقد استطاع سيد قطب، والمودودي، والندوي، والشعراوي، والسباعي، والجندي، وغيرهم كثير، إشغال الفكر العربي الليبرالي المعاصر وصرفه عن الاهتمام بقضايا أكثر حيوية وأكثر جدية ومصيرية كمشاكل التعليم، والتنمية، والقضاء على الأميّة، وتدعيم الأسس الديمقراطية، ومحاربة الخرافات، وحقوق المرأة، وخلاف ذلك. وانغمس الفكر العربي الليبرالي المعاصر كذلك في قضايا لا طائل من ورائها، ولم ينته الجدل فيها، ولن ينتهي ما دامت الشهوة السياسية الجامحة في نفوس من يربطون بين الدين والدولة، وينادون بالدين السياسي. «فليست غريبة عن التاريخ هذه الهجمة الاختزالية التي تضع الأخلاق والدين مكان السياسة والمجتمع والاقتصاد، وتحيل اليوم إلى الأمس المُصاغ بدوره على صورة نماذج لا حياة فيها، ولا واقع»، كما يقول المفكر السوري عزيز العظمة («العلمانية من منظور مختلف»، ص ٣٢٣).

عصا البشير.. وضربات الجزاء

مهدي النجار

لا يستهوينا الحديث في السياسة لأن كفاءتنا في هذا المجال ضعيفة ونمتنع كثيراً من دس أنوفنا في حقولها ولكن حين يدفعك واقع الحال الى جمر السياسة لابد ان تكون ردود افعالك تتناسب مع وهج الجمر وحرارته. يستفزك وأنت تعيش الالفية الثالثة من خلال شاشات التلفاز منظر هذا الزعيم الذي يصعد اكتاف الجماهير وهي تهتف له هتافها المعهود والمكرر والمطبوع على ألسنة اهل المشرق كما اهل المغرب: «بالروح بالدم نفديك يا البشير» ينتفخ الزعيم ويلوح بعصاه في الهواء جذلاً، نسأل: ترى لمن يلوح السيد البشير بعصاه؟! بالتأكيد لا يهش بها غنمه، ولا يلوح بها لشعبه لان شعبه أستكان مثل كل شعوب الارض الاسلامية التي عرفت زعمائها جيداً قبل قرون، منذ ذلك التاريخ الغابر الذي زمجرّ الحجاج بوجه اهل الكوفة وصاح بهم : « أما والله لألوحنكم لحو العود ولأعصبنكم عَصب السَّلَمَة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل». هكذا عرف الاستبداد العربي/الاسلامي كيف يمسك بتلابيب الحكم حتى لو اقتضى الامر رفع المصاحف على أسنة السيوف واول مايفعله بعد ما يتمكن من الحكم ان يصنع من الشعب عجينة يلوكها في قبضته، يجعله يستسلم كما ان الامر قد نزل من السماء، بالتأكيد لا يلوح السيد البشير بعصاه للأمبرياليين لانه يعرف كم هي حديدتهم حارة ويعرف جيداً معنى جبروتهم وقسوتهم ومن المعروف ان المُستبد على استعداد لخلع ملابسه حتى الداخلية منها من اجل ان لا يُقوض سلطانه ليظل هو وحده الأمر القهار.

اذا كان السيد البشير لا يلوح بعصاه لشعبه ولا يلوح بها للأمبرياليين، اذن ياتُرى يلوح بها لمن؟ يقول النفسانيون ان بعض الناس يَخفون توتراتهم وهلعهم بالطقطقة في خرزات مسابحهم، او بمداعبة شحمات آذانهم وأرنبات أنوفهم...ترى هل يلوح السيد البشير بعصاه في الهواء من باب طرد الهواجس من نفسه، هواجس فقدان السلطة!... هذا جائز لانه على مستوى العصور السالفة وعلى مستوى عصرنا الراهن لاحظنا ان المستبدين في ارض العرب والاسلام لم يتخلوا يوماً عن سلطانهم لانهم يعتقدون ان السلطة مثل قميص البسهم اياه الله، لا يمكن ان يتزحزحوا قيد أنملة عن مواقع الحكم إلا بعزم من الخارج، أما ان يرسل الله لهم عزرائيل فيقبض ارواحهم او تأتيهم ضربة قوية من العُقب الحديدية وهذه فهمها البعض وفقا لنصيحة الزعيم اليمني عبد الله صالح: « أحلقوا ذقونكم قبل ان يحلقها غيركم « وطبعاً الضربات الجزائية التي يسددها الخوارج (أمريكا وأوروبا) لزعماء الاستبداد ليس المقصود منها سواد عيون الشعوب الاسلامية إنما على الاغلب خوفاً من هذه الشعوب ان تتململ وتُنفس عن غضبها وهي تعيش داخل مجتمعاتها عيشة مذلولة، محرومة من اللقمة والنسمة، خوفاً من هذه الشعوب ان تسخط فتحرق اليابس والاخضر، خوفاً من التحرش بحضارتهم وافساد مباهج حداثتهم. وحين تتحقق ضربات الجزاء ويُرمى الاستبداد في القمامات وتعم الفوضى الخلاقة (كما يسميها منظرو الامبريالية). تنطلق الشعوب من أقفاصها مثل طيور في سماء البرية، وَجلة وخائفة، لا تعرف ماذا تفعل، ولا أين تتجه وهي التي ضعف عندها جهاز المناعة وقد يفترس الناس بعضهم البعض، تُرى هل يُتاح للشعوب، بعد ضربات الجزاء، ان تقوى وتجدد اجهزتها المناعية وتشم نسمات الحرية، أم انها تنتظر عصا جديدة تلوح لها في الهواء!

الموصل على مفترق طرق

ساطع راجي

يبدو إن الموصل وليس كركوك هي التي ستكون الاختبار الحقيقي والقاسي لقدرة المكونات العراقية على التعايش ولقدرة الفرقاء السياسيين على التفاهم ونبذ أساليب العنف والانتقام في التعامل، كما إن الموصل ما زالت الملاذ المفضل لمختلف جماعات العنف التي فشلت عدة خطط أمنية في مواجهتها وإنتهت إحداها بكارثة نزوح المسيحيين تلك الكارثة اللغز الذي لم تفك أسراره اللجان الحكومية وتحولت التسريبات والمناوشات الاعلامية الخارجة من الجلسات الخاصة الى مايشبه الفتنة.

الموصل شهدت إنتخابات محلية حادة النتائج لا تنفع معها كل الاوهام الاعلامية عن تجاوز الانقسامات فقد جاءت النتائج لتعبر عن الانقسام في أشد حالاته وهو إنقسام على أساس قومي صرف برغم إن كلا من قائمتي الحدباء ونينوى المتآخية تضم أفرادا من مكونات الموصل المختلفة لكن الخطاب السياسي لكلا القائمتين هو خطاب صراع قومي تأسس على عملية إستقطاب كبرى، ومنذ إعلان نتائج الانتخابات أخذ الوضع الامني في الموصل يسير نحو مزيد من التدهور، حتى مع الحملة الامنية التي أعقبت إعلان النتائج.

برغم حصول قائمة الحدباء على أغلبية المقاعد في مجلس المحافظة الجديد إلا إن ادارة محافظة متنوعة الاصول والمشارب مثل نينوى يتطلب تفاهمات سياسية معقدة تسهل عملية الادارة وتمنع تبادل الادوار في التصعيد وإثارة التوتر، وهو ما يعرفه الساسة في الموصل بشكل جيد لكن هناك إستحقاقات ثقيلة يريد كل طرف تحصيلها من الطرف الآخر برغم إن القرار النهائي في هذه الاستحقاقات بيد زعامات تعمل خارج الموصل، كما إن قرب الانتخابات البرلمانية سيمنع كل من الطرفين عن تقديم تنازلات كبيرة ذلك إن الشعارات التي أعتمدها الطرفان السياسيان جاءت بنتائج جيدة لكليهما بطريقة منعت تشتت الاصوات الذي حصل في محافظات العراق الاخرى.

لم تحصل الموصل على الاهتمام السياسي أو الامني الكافي برغم إنها تقف بجدارة الى جوار كل من كركوك وديالى لتشكل محنة الاستقرار والتعايش في العراق وهذه المناطق بمجموعها هي نقاط ضعف تهدد تماسك الدولة العراقية وأمن العراق بأكمله بسبب تداخلاتها القومية والطائفية والسياسية وهو ما يكرر الامريكان قوله كلما إستعرضوا عوائق الانسحاب من العراق، وإذا كانت كركوك قد حظيت بالاهتمام الاكبر من قبل الساسة والمؤسسات على السواء فإن الموصل تحديدا تحولت الى حلبة صراع منسية يتم التركيز عليها من وقت لآخر، وبسرعة تزول حالة الاهتمام وتفشل الخطط لتتسرب الشائعات والاتهامات عن الاسباب والمسببين من دون وجود أي مخطط سياسي لتفكيك الازمة في هذه المحافظة الستراتيجية بالنسبة للعراق.

لقد حول الساسة الموصل الى حلبة صراع متكرر وهم يتفننون بالحفاظ على هذا المشهد من دون أن يهتم زعماء المكونات في إنقاذ هذه المدينة من ساعة الصفر الدموية التي تقف مترقبة خلف أبواب الاحتقانات المتراكمة منذ سنوات وهي إحتقانات لن ينجو منها مكون عراقي.

يذهب كثير من المحللين الغربيين في تفسير الاهتمام الكبير الذي تحظى به كركوك من النخبة السياسية العراقية الى مخزون النفط الكبير الموجود في كركوك لكن في الموصل كميات لا بأس بها من النفط وهي في كل الاحوال تكفي لإشعال محافظات أخرى قريبة منها.

ليس من الحكمة السياسية (حتى في مستوى المناورات القصيرة النظر) ترك الوضع في الموصل يتفاقم لإنجاز إبتزازات وصفقات لحل أزمتين في زمة من باب الاقتصاد في الانفاق السياسي، فإغفال الموصل أو تأخير الاهتمام بها من قبل النخبة السياسية بمختلف إنتماءاتها قد يكون جزءا من محاولة التوصل الى حلول في كركوك، وهو أمر في غاية الخطورة.

لنتذكر دائما إن الصراع في الموصل وكركوك هو ما أحبط تجربة الجمهورية الاولى بعد ثورة ١٩٥٨ وفتح المجال لقوى التعصب والاستبداد للوصول الى سدة الحكم في العراق، وكل طرف كان يتوقع إنه سيحصل على ما يريد في هاتين المدينتين عبر هدم الجمهورية العراقية الاولى، فهل هناك رغبة بتكرار التجربة؟.

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com